الدرس السابع

روايتا يعقوب ويوسف

تكوين 25: 12–50: 26

1. مقدمة

تتناول بقية سفر التكوين (25: 12–50: 26) بشكل رئيسي حياة شخصين هما يعقوب ويوسف. غير أن هاتين الشخصيتين لا تأتيان في معزل عما سبق. فهما جزء من عمل الله المستمر في ما يتعلق بالوعد الإبراهيمي. سيفي الله بوعده بإقامة أمّة من نسل إبراهيم الذي سينفّذ برنامجه الإلهي من خلاله كما أُعلن في تكوين 12: 1–3. غير أنه بعمله هذا لن يتجاهل الشخصية الأخلاقية وغياب الإيمان في النسل. بل سيؤدبهم ويطور إيمانهم. وفي ضوء هذا ترتبط هذه الأصحاحات بتطوير النسل الموعود والجهاد من أجل الحصول على البركة. وعندما يتدخل الله لكي يعيد توكيد وعود العهد، يكون مشهد دخوله رائعاً وهاماً.

غير أنه في مسألة نقل البركة لا نجد النسل "رجال إيمان" كما صار إبراهيم. وفضلاً عن ذلك، يحدث تدهور خطير في العائلة (خاصة مع يعقوب وأبنائه) يعرّض نسل البركة للخطر. فهم يتعرَّضون لخطر أن ينتقل إليهم الفساد وأن تبتلعهم الحضارة الكنعانية. وبدلاً من أن يكونوا بركة لسكان الأرض، جالبين إليهم المعرفة الروحية وشهادة يهوه، فإنهم يزدادون انحلالاً شيئاً فشيئاً ليصيروا مثل الكنعانيين. يجيب هذا عن السؤال الذي يطرحه سفر الخروج، إن كان الله قد وعد أمّة إسرائيل بالحصول على كنعان، فما الذي يفعلونه في مصر (ناهيك عن عبوديتهم المزرية هناك)؟ تشرح رواية يوسف سبب وجودهم في مصر. لقد سبق أن سمحوا لأنفسهم بالانجراف وراء الفساد فتعرض نسل البركة للخطر من خلال عصيانهم وانحلالهم. وقد فقدوا تقريباً تميّزهم كشعب الله. ولكي يحفظهم الله من مزيد من التأثيرات الكنعانية، أرسلهم إلى مصر حيث يمكنهم أن يتطوروا إلى أمة. وعندما تكتمل هذه العملية، سيعيدهم الله إلى أرض الموعد.

2. رواية يعقوب (تكوين 25: 19–35: 29) [يعقوب 2006–1859ق م]

إن أحد الأمور التي تكشفها رواية يعقوب هو أن الله ليس في عجلة من أمره بحيث يدفع برنامج البركة دفعاً. فهو قانع تماماً بالتعامل مع الطبيعة الأخلاقية "لنسل البركة" وتطويرها أثناء هذه العملية. وهذا هو أحد الاهتمامات الرئيسية لهذا القسم: يعمل الله بحرص على

تطوير الشخصية الأخلاقية ليعقوب إلى أن يجعله أقرب ما يكون إلى "رجل إيمان" منه إلى شخص مستغل خائن مخادع. غير أن الشخصية الأخلاقية للأمة نفسها تنعكس في شخصيته، كما لو كان الأمر توقعاً نبوياً.

لا شك أن الله أراد البركة ليعقوب. وإن اللجوء إلى حيلة مخادعة للحصول على البركة الإبراهيمية من أبيه ليس طريق الإيمان. ولا يملك يعقوب عند هذه المرحلة نوعية الشخصية الأخلاقية التي يرغب الله أن يتحلى بها "الإداري الثيوقراطي" خاصته. وهكذا يخرجه الله من أرض البركة ليؤدّبه (على يد لابان) ويرجعه في نهاية المطاف بعد سنوات طويلة من العمل الشاق. وعند عودته يخشى مواجهة "ساكن" الأرض، أي أخاه عيسو. وهنا لا بدّ أن يعمل الله في حياته بشكل فريد لكي يعدّه (من خلال قصة المصارعة) لمواجهة عيسو بالإيمان. وعندما يدخل الأرض، لا يقاومه عيسو، لأن الله سبق أن تعامل مع عيسو لمصلحة يعقوب. وبالرغم من انتصار أبناء يعقوب بعودتهم إلى الأرض، إلاّ أنهم ينجرفون وراء الانحطاط والفساد، وتشكل سلسلة الأحداث هذه صورة دقيقة لوضع الأمّة. وعلى الرغم من أنهم وريثو الوعد بالاختيار، إلاّ أن الله أبعدهم عن الأرض تأديباً لهم إلى أن حان وقت أعادهم الله فيه تحت قيادة موسى. وقد اقتربوا هم أيضاً من الأرض في خوف، فتعامل معهم الله بشكل فريد إلى أن دخلوا الأرض بإيمان تحت قيادة يشوع. وفي يعقوب تعرف الأمة طبيعتها الأخلاقية الحقيقية!

أ. يعقوب يحصل على البركة بالخديعة (25: 19–28: 9)

رواية عيسو ويعقوب مثيرة للاهتمام. يأخذ إسحاق البركة الإبراهيمية من أبيه إبراهيم (25: 5، 11). غير أن زوجته رفقة، مثلها مثل سارة، عاقر، ولا يوجد أي نسل ليواصل خط البركة. لكن إسحاق كان قد تعلم من خبرة أبيه درساً: لا يلجأ المرء إلى وسائل بشرية للحصول على الذرية. بل عليه أن يصلي، وأن يصرخ إلى الرب، وأن يتكل عليه. وبعد أن صلى إسحاق لرفقه، اكتشف اكتشافاً مفرحاً أن رفقة لم تكن حبلى فحسب، لكنها سترزق بتوأمين. والبكر حسب العادات الشرقية هو الوريث الرئيسي لأملاك والده. تشمل حقوق البكورية الحق في أن يكون البكر الرئيس الروحي للعائلة، وهكذا يأتي من خلاله النسل الروحي. وبما أن عيسو هو البكر، فإن حقوق البكورية له. غير أن الله يتدخل ليثبت أمراً. فحتى حين كان التوأمان ما يزالان في بطن أمهما، أعلن الله (تكوين 25: 23):

"في بطنك أمّتان، ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يقوى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير."

سيكون يعقوب الأصغر، إذ سيولد بعد عيسو، غير أن الله يعلن أنه سيسود. والفكرة هنا هي أن الله يقاطع النظام الطبيعي لكي يبيّن أن متلقّي البركة سيعيَّن بالاختيار، أي باختيار الله (وهذا أمر أساسي بالنسبة لحجة بولس حول عقيدة اختيار المؤمن في رومية 9). لكن ما هو متضمّن هنا هو أكثر من شخصين. إذ نحن أمام أمّتين، والفكرة الواضحة هنا هي أن أمّة إسرائيل ستأخذ دورها عن طريق اختيار الله. ومنذ البداية، كان مولد أمّة إسرائيل تحت إشراف العناية الإلهية الخارق. غير أنه يوجد درس لإسرائيل على المستوى

الفردي: أن يكون المرء من بني إسرائيل لم يكن يعني أن يصير بشكل آلي ضمن "عائلة الإيمان." ألم يكن عيسو ابناً لإسحاق؟ غير أن عيسو لم يُشمَل بتلقي البركة، إذ لم يكن مختاراً ولم يكن من الإيمان (حيث احتقر البكورية). والانحدار من نسل إبراهيم لا "يخلّص" أي واحد من بني إسرائيل. . . وهذه فكرة سيواجه بها يسوع فيما بعد اليهود غير المؤمنين في جيله.

والآن لننتقل إلى المشهد الذي يكسب فيه يعقوب حقوق البكورية من عيسو. وما يجب أن نفهمه هنا هو أن الله أراد على الدوام أن يحصل يعقوب في نهاية الأمر على البركة الإبراهيمية (وهذه هي دلالة الإعلان الإلهي قبل مولده). ولم يكن اللجوء إلى الحيلة والخداع ضرورياً قط ليعقوب. كان في مقدوره أن يحصل عليها بالإيمان. . . واثقاً بأن الله سيعطيه حقوق البكورية. غير أن يعقوب عند هذه النقطة رجل يأخذ الأمور على عاتقه. ويعني اسمه "القابض على العقب"، وسيأخذ هذا فيما بعد معنى سلبياً" "المُعْثِر" أو المخادع الماكر. ويشهد اسمه على طبيعته الأخلاقية.

ومن ناحية أخرى، فإن الشخصية الأخلاقية لعيسو أدنى من يعقوب. تخبرنا تكوين 25: 34: "*فاحتقر عيسو البكورية*،" أي أنه احتقر ذاك الذي له قيمة. والأمر الهام هنا هو البرنامج الإلهي. . . بركة إبراهيم، وسيط البركة. احتقرها. . . لم يرَ فيها قيمة كبيرة. . . بل إنه كان في واقع الأمر يحتقر ما يقدّره الله. . . وهذه صفعة على وجه الله. وعلى الرغم من الطريقة التي سعى بها يعقوب إلى الحصول على ما كان امتيازاً لعيسو، إلاّ أنه يجب علينا أن نمتدح معرفته لما هو ثمين وسعيه وراءه. يدرك يعقوب القيمة الروحية في حق البكورية! وهكذا فإن كلا الرجلين درس لإسرائيل. من خلال يعقوب، يجب أن يتعلموا أن الوعود لا تتحقق بتلك الطريقة (بالخداع والمكر). ومن خلال عيسو، فقد حُذِّروا من احتقار ما هو ثمين. ونتيجة لذلك، ينتهي المطاف بيعقوب بالهروب من أرض الموعد (وفي هذا توازٍ مع تغرّب العائلة في مصر). لكن مع ذهابه، يدرك حتى إسحاق أن البركة ستكون ليعقوب: "*يعطيك (الرب) بركة إبراهيم لك ولنسلك معك، لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم.*" (28: 4)

ب. الرؤيا في بيت إيل (28: 10–22)

وضع أحدهم هذا المشهد على صورة ترنيمة بعنوان، "أنا أتسلق سلّم يعقوب". غير أن الرواية الكتابية مختلفة جداً. تهدف هذه الفقرة إلى تشجيع يعقوب وهو يغادر أرض كنعان. لم يكن مفترضاً، في القصص السابقة، أن يغادر الآباء الأرض. أمّا في حالة يعقوب، فلم تكن مغادرته ضد مشيئة الله، بل كانت ضمن التأديب الإلهي (كلما كانت أمّة إسرائيل خارج الأرض، كان ذلك إجراء تأديبياً من الله). لدى مغادرته يتلقى توكيداً من أبيه أن البركة له، أمّا الآن فإن يهوه نفسه يؤكد له هذه الوعود. وهكذا يرمز السلّم إلى حضور الله مع يعقوب حيثما يذهب وإلى تأهب الملائكة لخدمته بتوجيه الله (انظر 32: 1، 2). هذا وعد بالحماية والتدبير أينما يذهب، وفي هذا توكيد

على الوعد الإبراهيمي ليعقوب. وحصوله على البركة أمر واضح حتى أثناء مدة إقامته عند لابان، فقد باركه يهوه كثيراً، حتى إن لابان نفسه نال بركة من خلال يعقوب (30: 27، 30). استجاب يعقوب لهذا الإعلان بالعبادة ونذر الولاء ليهوه (28: 18–20).

جـ. صراع يعقوب–لابان (29: 1–31: 55)

إن كان يعقوب يتسم بالخداع، فإنه يقابل في لابان خصماً يتفوق عليه في الخداع. وفي هذا ترتيب إلهي لتأديب يعقوب. وتعمل السنوات التي قضاها يعقوب عند لابان على تطوير إيمانه بجعله يدرك بطريقة مؤلمة نقائصه وخطاياه. غير أنه توجد بركة ممتزجة بالتأديب، حيث يرزق يعقوب بنسل من خلال راحيل وليئة (والجاريتين) مما سيديم نسل البركة. ويصبح يوسف، بكر راحيل، المفضّل لدى أبيه الذي كانت راحيل موضوع حبه الأعظم.

د. لقاء عيسو: من الخوف إلى الإيمان (32: 1–33: 20)

لم يكن ممكناً أن يخدم يعقوب لابان مدى العمر، إذ كانت الخطة الإلهية أن يعطي الله يعقوب أرض الموعد (لنتذكر أن فرعون سيطارد بني إسرائيل بقيادة موسى كما طارد لابان يعقوب). غير أن يعقوب، في تقدير الله، لم يكن جاهزاً بعد لأخذ الأرض؛ فالخوف يتملك قلبه، لا الإيمان. وقد عاد الرسل الذين أرسلهم يعقوب قبله بخبر مفاده أن عيسو يتقدم نحوه مع قوة عظيمة (32: 6). ونجد استجابة يعقوب في 32: 7: *"فخاف يعقوب جداً وضاق به الأمر"* (ولا يسع المرء هنا إلاّ أن يتذكر الإثني عشر جاسوساً الذين أرسلهم موسى). أراد أن يلجأ إلى أساليبه ووسائله الخاصة لكي ينجح؛ فقسّم عائلته إلى مجموعات مختلفة من المسافرين، وحاول أن يرسل هدايا لكي يسترضي أخاه. خشي يعقوب لقاء أخيه، وهو يتوقع معركة معه. والملاحظة المذهلة هنا هي أنه لا يلقي بنفسه على قوة الله في اتكال كامل ليحل الصراع مع أخيه. بل يسعى إلى معالجة الأمر بنفسه. نجح دائماً في الاحتيال على الآخرين (حتى لابان)، لكن هل سينجح هذه المرة؟ أخذ منه اليأس كل مأخذ، فصلّى للرب أن يخلّصه على أساس الوعود الإبراهيمية له (32: 9–12). كان ما عمله هو الصواب، لكن أفعاله التي تلت ذلك كشفت أنه كان ما يزال يحاول أن يقاتل بنفسه بدلاً من السماح لله بأن يقاتل عنه. وهذا هو ما يجب أن يتعلّمه مهما كلّف الأمر: لن يستطيع أن يأخذ الأرض إلى أن يسمح للرب بأن يقاتل عنه! والحادثة الغريبة التي يصارع فيها يعقوب رجلاً في يبوق (32: 23–33) هي مفتاح هذا القسم كلّه الذي يتعلم فيه يعقوب هذا الدرس نفسه.

كان يعقوب قد صلّى من أجل أن ينقذه الله (32: 9–12)، لكن الله يعرف أن هنالك حاجة أكبر إلى شيء آخر. يجب أن يخلَّص يعقوب أولاً من الخوف الذي يشل نفسه. وهكذا، وفي مخاضة يبوق، يواجه يعقوب رجلاً يتصارع معه طوال اليوم. وسيخرج يعقوب من هذه الموقعة رجلاً آخر، رجلاً مختلفاً.

وقبل أن يتسنى ليعقوب أن ينفّذ أحد أساليبه وحيله، فإن هنالك من يريد أن يقابله وجهاً لوجه. وتبقى هوية هذا الخصم غير محدَّده، ولا نعلم هويّته إلاّ من كلامه وتصرفات يعقوب. ومن الواضح هنا أن خصم يعقوب هو الرب نفسه، لأن يعقوب كان يصارع كل حياته مع الرب. والآن سيقوم الرب بتعليم يعقوب درساً هامّاً من خلال طريقة مثيرة. يستمر الصراع طوال الليل، ويبدو أنه لا يحسم إلاّ حين يلجأ "الرجل" إلى عمل خارق، لمسة بسيطة. تؤدّي هذه "اللمسة البسيطة" إلى خلع حُقِّ فخذه (ومن السخرية الأدبية أن هذه ضربة مخادعة). والفكرة هنا واضحة: صارع يعقوب الرب طوال حياته، غير أن الرب أحجم عن محو يعقوب عن وجه الأرض. كان في مقدوره أن يفعل ذلك، إذ أصابت يعقوب بالعجز "لمسة" واحدة خارقة من الرب. لطالما منعَ الله نفسه عن محو يعقوب، فهو وفيٌّ لموضوع اختياره الذي يحمل بركة إبراهيم. لكن هذا المشهد كله يمثّل أكثر من يعقوب نفسه. فهذه هي الطبيعة الأخلاقية للأمة المختارة، وحتى طبيعتك وطبيعتي.

يدرك يعقوب أنه ليس ندّاً لهذا الإنسان أو "الرجل،" فلا يمكن لأحد أن يباريه وينتصر. وتصبح هذه الخبرة كشفاً ليعقوب، حيث يدرك حقيقة هذا الرجل، فيتعلق به ولا يدعه يتركه دون بركة. هذا هو يعقوب الذي يمتدحه الله؛ هذا هو يعقوب الذي يدرك القيمة الموجودة في البكورية؛ هذا هو يعقوب الجائع لبركة الله والذي يطلبها بشكل مُلح. هذا هو يعقوب صاحب القلب المؤمن!

يصرخ يعقوب طالباً البركة، ويستجيب الله بأن يسأل يعقوب عن اسمه. وهذا أمر ذو دلالة لأن الاسم هو الذي يعكس الطبيعة الأخلاقية لصاحبه. وعندما يذكر يعقوب اسمه، فإنما يذكر شخصيته الأخلاقية لشخص كان طوال عمره مخادعاً ماكراً، شخص سعى إلى الحصول

على البركة بطريقة غير نزيهة. جعل الله يعقوب يعترف باسمه وبطبيعته الأخلاقية، مطالباً إياه بهذا بتغيير نمط حياته هذا بشكل جذري. ويعطيه الله اسماً جديداً، وهذه هي الاستجابة الإلهية لطلب يعقوب بركة. يدل الاسم الجديد على شخصية أخلاقية جديدة، واسمه الجديد هو "إسرائيل"، ويعني هذا الاسم "الله يقاتل". والتفسير (32: 28) هو أن يعقوب جاهد مع الله والناس وقدر. يقول روس:

حاول يعقوب طوال حياته استخدام بركة الله في كل الظروف من أجل منفعته الخاصة. كانت إرادته الذاتية قوية جداً، وكان أكثر اعتزازاً بنفسه من أن يسمح بأن تعطى له بركة الله دون جهد منه.

. . . . وهذا عنى، أولاً، أن الله اختار أن يقاتله، بسبب عناده وكبريائه. وعنى ثانياً أن الله مستعد أن يقاتل من أجل أمّة إسرائيل.

سيذكّر اسم يعقوب صاحبه وآخرين بهذه المعركة التي غلبت فيها. وكانت هذه الكلمات مصدر رجاء لبني إسرائيل. فإذا استطاع المرء أن يجاهد مع الله، فإنه يستطيع أن يربح المعركة مع الإنسان. وهكذا فإن اسم "الله يقاتل" والتفسير أن يعقوب قد "قدر" أظهر للأمة أهمية الوعد في صراعاتها القادمة."[1]

ستكون هذه الحادثة تذكيراً، لا ليعقوب وحده، بل للأمة أيضاً، أنهم جاهدوا مع الله. وهم يغلبون، لا بمعنى أنهم يهزمون الرب، بل بمعنى أن يحصلوا على البركة في نهاية الأمر رغم الجهاد.

لا شك أن هذه المواجهة مبكّتة، لكنها تشكّل بداية جديدة أيضاً. ومنذ هذه اللحظة فصاعداً، سيكون يعقوب شخصاً آخر (من نواح أكثر من مجرد أنه سيعرج في مشيته بسبب حُقّه المخلوع). سيعرج مدى الحياة، لكنه يتعلم وهو في هذه الحالة بالذات، أن الله قوّته، ويجب أن ينظر إلى المكائد والحيل الماكرة على أنها أسلوب الحياة القديم. وسيتذكر على الدوام بأن الله هو الذي يقدر "بلمسة" واحدة أن يجعل خصمه عاجزاً. صار يعقوب الآن إسرائيل ("الله يقاتل")، وهو يستطيع الآن أن يواجه عيسو ولديه اليقين المشجع أن الله يحارب عنه معاركه. اختفت ثقته بنفسه، واختفى معها استخدام الأسلحة الجسدية. وكانت إحدى نتائج تلك المواجهة أن يعقوب سمّى المكان "فِنيئيل" (الذي يعني "وجه الرب")، لأنه اضطر في هذه المرحلة إلى أن يتعامل مع الله وجهاً لوجه.

كانت حصيلة هذا كله أقرب إلى السخرية الأدبية: إذ لم يكن لقاؤه مع عيسو لقاء قتال مطلقاً، لأن الرب أخضع قلب عيسو (والأمر أشبه ما حدث عندما هزم بنو إسرائيل أريحا). ويمكن للأمة أن تتعلم الكثير من هذا وهي تستعد لدخول أرض الموعد بقيادة موسى.

[1] Allen Ross, "Genesis," in *The Bible Knowledge Commentary*, 81

ويتوجب عليهم بوجه خاص أن يتقدموا بالإيمان تاركين الله يحارب عنهم. وتختتم رواية يعقوب برجوعه إلى الأرض كما وعد الله. ولسوء الحظ، فإن هذه العائلة تتدهور روحياً، وهذا هو الموضوع الذي سنبحثه في رواية يوسف.

3. رواية يوسف (تكوين 37: 1–50: 26) [يوسف 1916–1806ق م]

إلى ماذا يؤول مصير يعقوب؟ يصبح أولاده الاثنا عشر أسباط إسرائيل الإثني عشر، لكنهم انحطوا كثيراً. وسنتتبع في هذا القسم التدهور الأخلاقي في نسل البركة، مما ينتج عنه إبعادهم عن أرض الموعد إلى مصر بغرض التأديب الإلهي. وإن ما يدفعهم إلى مصر أكثر من مجرد مجاعة. وإذا صاروا في مصر، فإن السؤال يبرز، "ما الخلل الذي أصاب برنامج الله؟ ولماذا أخرجهم الله من الأرض الموعودة ليحضرهم إلى "أتون مصر الحديدي"؟ وهم ليسوا في مصر بالصدفة؛ لكنهم هناك حسب قصد إلهي. وفي هذه الأثناء، يقيم الله رجلاً من وسط اخوتهم سيكون محرر الأمة، أي يوسف.

أ. تدهور نسل البركة

لكي يفهم المرء رواية يوسف، يجب أن يدرك ما يحدث لنسل البركة. لقد خُلقوا ليكونوا وسيط البركة للأمم الأخرى وليحملوا شهادة يهوه. ويتطلب هذا تميّزهم كشعب الله، وليس أن يكونوا مقيَّدين بالخطية. لكن بدلاً من أن يأتوا بالكنعانيين إلى معرفة يهوه، فإنهم، وهم النسل الموعود، يصيرون أكثر شبهاً بهم. وهم يفشلون في ثلاث نواح هامة:

1. قصْد يهوه لهم في أن يكونوا شهادة له

لنتذكر تكوين 12: 8 و26: 25 و33: 20 حيث قام الآباء ببناء مذابح. كانوا يدعون باسم الرب، وبعملهم هذا فإنهم كانوا شهوداً لاسم يهوه. كانت دعوتهم أن يكونوا بركة في وسط الكنعانيين. لكن للأسف، تلاشى هذا القصد في أن يكونوا شهادة.

2. الاهتمام بالوحدة

لا يجب أن يكون هناك انقسام وتوتّر بين عُبّاد يهوه

أ. في تكوين 13: 5–8 يعطي أبرام اختيار الأرض للوط (لنلاحظ الآية السابعة التي توحي بأن هذا كان على مرأى من الكنعانيين).

ب. على نقيض ذلك يقوم أبناء يعقوب الاثنا عشر بأخذ يوسف ومحاولة التخلص منه. إذ يوجد حسد وغيرة بينهم.

3. ضرورة البقاء متميزين (منفصلين عن الكنعانيين)

حرصت الأجيال السابقة على عدم التزاوج مع الكنعانيين (انظر تكوين 24: 1–3؛ 27: 46). أمّا الآن فيوجد تدهور:

أ. بعد اغتصاب دينة، قام شمعون ولاوي بتحريف الاستعمال الروحي للختان لجلب الموت على شعب تلك المنطقة (الأصحاح 34).

ب. ارتكب رأوبين، أكبر أبناء يعقوب، السّفاح مع محظيّة أبيه (35: 22).[2]

جـ. يذهب يهوذا ويأخذ زوجة كنعانية. ويؤدّي هذا بدوره إلى عمل بغاء مع كنّته تامار. ونتيجة لذلك يصوَّر لنا يهوذا على أنه لا يصلح ممثلاً ليهوه (38: 26)، ويفقد شهادته المؤثرة أمام الكنعانيين (38: 21–22).

أضاع نسل يعقوب القصد السامي من المأمورية التي أوكلها يهوه إليهم، وصاروا في خطر الاندماج مع الكنعانيين وبهذا يعمل الله بطريقةٍ فريدة ليحضر "النسل" إلى مصر.[3] ولم تكن الهجرة إلى مصر تصرفاً يتسم بالعصيان منهم، بل كانت إرادة الله لهم (قارن 15: 13؛ 46: 3) والسؤال هو: لماذا مصر؟

حمل المصريون نظرة مختلفة إلى العبرانيين من تلك التي حملها الكنعانيون. ففي الوقت الذي رحّب فيه الكنعانيون بالعبرانيين وأبدوا استعداداً لإدماجهم في مجتمعهم، مارس المصريون التمييز العنصري ولم يريدوا أن تكون لهم صلة بالعبرانيين (انظر 43: 32، 34؛ 46: 34). ونتيجة لذلك، جاء العبرانيون إلى مصر وبقوا في عزلة (ممّا مكنهم من التطوّر إلى أمّة). وبوضع الله لهم في حضارة مختلفة يرفض فيها المصريون مخالطتهم، فإنه كان يحفظ برنامجه اللاهوتي بخلق درع حامٍ لشعبه. فالله لم يتخلَّ عن برنامجه. لكنه يعمل فيهم (رغم أخطائهم وعيوبهم) ليبنيهم كأمة متميزة (50: 20).

وبطبيعة الحال تتسلط الأضواء على يوسف.[4] كان الثوب (القميص) الذي أخذه من والده (تكوين 37: 3) إشارة إلى أنه سيكون الوريث (المدير الثيوقراطي – بمثابة تقليد للسلطة). وقد تملّكت الغيرة إخوته وحاولوا أن يتخلصوا منه. وإنه لمن السخرية الأدبية أن هذا كلّه يؤدي إلى أن يتولى منصبه الكبير في مصر الذي يصبح وسيلة لتخليص إخوته ونسل البركة. وتشبه حياة يوسف من نواح كثيرة حياة المسيح. فمع أن المسيح احتُقر ورُفض من بني أمته اليهود إلاّ أنه صار مخلّص إخوته.

---

[2] كان هذا التصرف شائعاً في الحياة الكنعانية، وفي أسلوب الحياة المفهوم ضمناً لآلهتهم. Charles F. Pfeiffer, *Ras Shamra and the Bible* (Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1962), 31-32.

[3] بدأ التغرب في مصر في حوالي عام 1876 ق م بناء على 1ملوك 6: 1؛ خروج 12: 40–41. Cf. Eugene Merrill, "Fixed Dates in Patriarchal Chronology," *BibSac* 137 (1980) 241-51; and *Kingdom of Priests*, 48-49.

[4] يقول ميريل إن "يوسف ولد في عام 1916ق م، ودخل مصر في عام 1899ق م، واستلم مركز القوة والنفوذ في عام 1886ق م، ومات في عام 1806ق م (تكوين 50: 22) عندما بلغ 110 سنوات من عمره" (*Kingdom of Priests*, 49).

ومع اقتراب السفر من نهايته، نسمع من شفتي يوسف ثقته بالعهد الإبراهيمي: "أنا أموت، لكن الله سيفتقدكم ويُصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (50: 24). لقد بدأ سفر التكوين في جنة عدن، لكنه ينتهي بيوسف في كفن. لكننا الآن مستعدون لفهم أحداث سفر الخروج. ونحن نفهم أن البرنامج الإلهي هو على هذا النحو لكي يدركوا أنه يجب عليهم أن يخرجوا من مصر إلى كنعان، ونحن نفهم كيف وصلوا إلى مصر أصلاً.

هنالك تعليق أخير حول البركة على الأبناء في تكوين 49. نرى في الآية العاشرة نبوءة مسيّانية: "لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا ومشترع (أو حاكم) من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع الشعوب." يمكن أن تعني شيلون "السلام الكامل" (وهي مرتبطة بكلمة שלום)، لكن يجب ترجمتها على الأرجح إلى "ذاك الذي له الصولجان" (حسب ترجمة NIV المفضلة في هذه النقطة على NASB). وإذا كانت الترجمة الأخيرة صحيحة، فإن الآية تعني أن صولجان الحكم سينتقل عبر سبط يهوذا حتى مجيء ذاك الذي سيحكم كل الشعوب. إذاً يعتمد رجاء الشعب على شخص واحد من نسل يهوذا، ولا شك أن يسوع الناصري سيُخضع الشعوب له ويجعلها تطيعه!